السيطرة على العالم بذريعة محاربة الإرهاب

زياد منى

شكّل انتصار الثورة البلشفية في روسيا القيصرية هزّة عنيفة للمعسكر الرأسمالي، بقيادة بريطانيا ومن ثمة الولايات المتحدة، إذ للمرة الأولى لم تعد الرأسمالية "نهاية التاريخ". ولأن الأهداف التي وضعتها الثورة في روسيا كانت معادية لرأس المال، محلياً وعالمياً، إضافة إلى رفعها شعار «حق الأمم في تقرير المصير» وتشكيل الأممية الثالثة أو ما يعرف بالكومنترن، فقد أضحت تحدياً مادياً حقيقياً للمنظومة الاستعمارية العالمية.

تصرّف القوى الاستعمارية على الثورة البلشفية تعددت وجوهه، لكن الأخطر كان غزو روسيا عام 1918-1920، بالتواطؤ مع كل من الولايات المتحدة وغيرها، دعماً للتحالف الرجعي الروسي المسمى "البيض". كذلك حاولت فصل دول البلطيق عن روسيا. الدولتان الاستعماريتان أخفقتا في تحقيق أهداف غزوهما، أي إسقاط البلاشفة، وانتهى أمر معظم جنودهم إلى الموت تجمداً في ثلوج روسيا السيبيرية واندحار من بقي منهم على قيد الحياة.

الدول الاستعمارية خاضت الحرب تلو الأخرى في العالم بهدف السيطرة عليه من دون منازع. فعلى سبيل المثال، غزت بريطانيا كل بقاع العالم ما عدا 22 دولة منها تشاد وليشتنشتاين ولوكسمبورغ وقرغيزستان، والسويد والفاتيكان!

الحرب الساخنة التي شنتها الدول الاستعمارية، عندما أخفقت، تراجعت لمصلحة "حرب باردة" هدفها محاصرة الثورة البلشفية من جهة، وتسويغ تدخلاتها في مختلف بقاع العالم من جهة أخرى. الطريق إلى ذلك كان شيطنة الاتحاد السوفياتي لإظهار نفسها وكأنها الملاك الحارس للبشرية، وكذلك عبر إقحام مجموعة من النعوت والمصطلحات "الذرائعية" إلى الصراع الفكري، منها "الستار الحديدي"، و"سياسة الاحتواء"، إضافة إلى "حقوق الإنسان" و"حرية التعبير" و"حرية الصحافة"، و"محاربة الإرهاب".

المصطلحات الذرائعية اجترحتها القوى الاستعمارية ووظفتها للتغطية على هدف واشنطن النهائي، وهو السيطرة على العالم وفرض "طريقة الحياة الأميركية/The American Way Of Life".

المؤرخون الغربيون الناتويون، يعيدون بدء الحرب الباردة إلى خطبة رئيس الوزراء البريطاني المخلوع ونستن تشرتشل "مصادر قوة السلام/Sinews of peace") في وستمنستر كولدج بفولتن في ولاية ميسوري بتاريخ 5 آذار 1946 بحضور الرئيس الأميركي هاري ترومن. بالمناسبة، وزير الدعاية النازي غوبلز ووزير الخارجية الأميركي ألن دالاس استعملاه أيضاً للإشارة إلى موسكو.

المصطلح نفسه أطلقه الصحفي الأميركي هيارد سووب، الذي كتب كلمة مستشار الإدارة الديمقراطية برنارد باروخ، الذي بدوره ألقاها في 16 نيسان 1947، وتم اعتمادها من بعد ومن ثم انتشارها عبر مؤلف الصحفي ولتر ليمن "الحرب الباردة، 1947" الذي صرح بأنه استقى المصطلح من الفرنسية (la guerre froide) العائد إلى ثلاثينيات القرن الماضي.

لكنّ مؤرخين آخرين، مستقلين، يعيدون تاريخ الحرب الباردة إلى عام 1920، أي إلى انطلاق حملة شيطنة روسية البلشفية قبل ولادتها.

لنأخذ الآن المصطلح الاستعماري "الستارة الحديدية" للإشارة إلى الاتحاد السوفياتي ليتبيّن، ولا عجب، أنه مأخوذ من التلمود البابلي (متيصه شل برزل)، والمرتبط على نحو وثيق بمفهوم "الحرب المقدسة" في كتاب اليهودية والمسيحية المقدس.

"سياسة الاحتواء" مصطلح آخر، عنى في جوهره [محاولة] منع انتشار الفكر الاشتراكي في العالم بأي وسيلة كانت. واضع هذه السياسة الرئيس الأميركي هاري ترومن، لكن الصياغة تعود إلى الدبلوماسي الأميركي جورج كنن، الذي عزّز مبدأ ترومان (1947) القائم على تقديم الدعم العسكري لدول كي تقاوم الشيوعية، وتلاه مبدأ آيزنهاور المماثل في جوهره الذي رأى أن الخطر الوحيد الذي يهدد واشنطن يأتي من موسكو.

هذا المبدأ والمصطلح الذرائعي أثر في الشرق الأوسط [الممتد من المغرب إلى حدود الصين وفق توصيف وزير الخارجية ألن دالاس] حيث عنى محاصرة الاتحاد السوفياتي عبر إقامة حزام من الأنظمة المعادية له. والتأثيرات الأخرى لذلك المبدأ في منطقتنا إقامة واشنطن ولندن مجموعة من الأحلاف مثل حلف بغداد وحلف السنتو، لدعم القوى والقيادات والأنظمة الرجعية الدائرة في فلك الغرب وفي مقدمتها نظام عمّان المتصهين ونظام بغداد الملكي، إضافة إلى دعم كميل شمعون في لبنان.

هذا المبدأ الذرائعي عنى أيضاً التآمر المستمر على سورية حيث وصل الأمر إلى درجة أمر الجنرال دوايت أيزنهاور القيادة العسكرية الأميركية بالاستعداد للحرب في المنطقة تتضمن احتلال سورية. وقد سبق لنا عرض ثلاثة كتب عن تلك الأحداث الخطيرة، لكن المنسية، في هذا المنبر.

كذلك دعمت واشنطن وهابيي العصر الحجري السعوديين، وكثفوا من محاربة مشاريع الرئيس جمال عبد الناصر الاستقلالية.

ومن الضروري تذكّر دور كيان العدو الصهيوني التآمري في المنطقة.

المؤرخون، ومن ضمنهم الناتويين، يتفقون، على أن نمو الحركة القومية العربية في سورية ومعاداتها للاستعمار، خصوصاً عقب العدوان الثلاثي شكل دافع إصدار ذلك المبدأ الاستعماري. وهو الذي استخدم للتدخل الأميركي في لبنان عام 1958 لدعم كميل شمعون الذي لم يتعرض لأي تهديد خارجي بل لنمو الحركة القومية العربية الوطنية في الداخل اللبناني، علماً بأن الوثائق المفرج أخيراً عن سريتها تثبت أن واشنطن هي من أمر كميل شمعون بطلب إنزال القوات الأميركية.

كذلك أُنزلت قوات ناتوية في الأردن لدعم جلالة مليك البلاد المفدى الذي كان يعاني نمو الحركة الوطنية القومية في الأردن، خصوصاً إبان عهد الوحدة المصرية السورية.

المؤرخون الناتويون يعيدون سبب خطبة تشرشل الآنفة الذكر التي أطلق عبرها الحرب "الباردة" على الاتحاد السوفياتي، لأن الأخير صمم على التوسع وعدم الانسحاب من الأراضي التي احتلها/حررها من ألمانية النازية. لكن الوقائع الموثقة توضح أن أوروبا الشرقية تقع ضمن منطقة نفوذ موسكو، وذلك بالاتفاق مع روزفلت وتشرشل معاً، ومع الأخير على انفراد في قمتهما الرابعة التي عقدت في موسكو عام 1944، بالعلاقة مع ما يعرف باتفاقية المحاصصة (Percentages Agreement) التي حددت مناطق نفوذ الأخيرة.

الاتحاد السوفياتي فرض في مؤتمر جزيرة القرم أو يالطا شروطه على حلفائه في الحرب، الذين كانوا يعدون حرباً عليه، حتى قبل انتهاء أمر النازية. الرئيس الأميركي روزفلت اعترف بعدم تمكنه من فرض أي أمر على ستالين، آخذين في الاعتبار حقيقة أن الاتحاد السوفياتي تحمّل وزر الحرب الأكبر وتحمّل خسائر لا نهائية لها. مثلاً: أكثر من عشرين مليون قتيل ونحو مئة ألف بلدة مدمرة.

بالعودة إلى ملفات محادثات يالطا وموسكو نقرأ أن ستالين أبلغ روزفلت وتشرشل بأن بلاده عانت حربين عدوانيتين شنتهما ألمانيا عبر بولونيا، لذا فإنه سيعمل على تقوية الأخيرة كدولة مستقلة، ضمن مناطق نفوذ موسكو، لحماية حدود بلاده الغربية، ووافق روزفلت على ذلك رافضاً اعتراض تشرشل.

هنا علينا تذكر حقيقة أن تشرشل وآيزنهاور عارضا فتح جبهة ثانية في أوروبا ضد ألمانيا النازية؛ تشرتشل قال في هذا المقام: فليدمرا بعضهما ثم نرث نحن ما يبقى!

ولا يمكن نسيان حقيقة أن ستالين وافق على سيطرة الغرب على اليونان، مع أن المحاربين الشيوعيين قد تمكنوا، بدعم من

السوخوي وطهران تفرضان شروط التسوية المقبلة

بلال ناصر *

اتضح خواء ورقة التهويل الإعلامي التي لعبها المحور الأميركي - السعودي - التركي ومعه قطر، بعد انطلاق الضربات الجوية الروسية، بسرعة. حاول هذا المحور تقديم الضربات الروسيّة كحرب ضد المسلمين، لاستثارة عصبيتهم الدينيّة، إلا أنّ النتائج لم تأت كما شاءت هذه الدول. فلن يتدفق إلى الميدان السوري مزيد من المسلحين. والبيئة النفسية للصراع، تغيرت على امتداد العالمين العربي (الشارع السوري بشكل خاصّ) والإسلامي.

في المقابل، نجح «التعاون» بين روسيا وإيران وسوريا في الإمساك بناصية المشروعية الأخلاقية والسياسية وحياكة مبررات الفعل وتوقيته بدقةٍ متناهية، ما أفقد الطرف الثاني فاعلية المبادرة ميدانياً وسياسياً.

ينجح تعاون قوى الـ«4+1» بتقديم خطاب سياسي منسجم ومتماسك ومتدرّج، بدءاً من محاربة الإرهاب في سوريا كهدف حقيقي وفعلي وهزيمته في المنطقة، وصولاً إلى كسر الأحاديّة والهيمنة الأميركية في مسعى لتغيير قواعد النظام العالمي القائم، ولعل ذلك هو الهدف الأبرز. باختصار، هذا هو فحوى الـ«4+1»... وتحقيق هذه الفرصة ممكن.

إنّ التركيز على هذا الهدف واعتماد هذه الرؤية في مواجهة الهيمنة الأميركية، سيتيح فرصاً جديدة، بل ويخلق إمكانية جديدة لإعادة النظر بسياسات العمل والاصطفافات القائمة التقليدية، وصولاً إلى فتح آفاق جديدة. ويمكن القول إنّ دول الـ«4+1» تنجح في توسيع دائرة عملها بإدخال أو تحييد أو التنسيق مع مصر والأردن في ما خصّ التفاهمات الخاصة، إضافةً إلى ضمّ أغلب المتضررين في العالم من السياسة الأميركية. نجح هذا الحلف في بثّ القلق عبر الضغط على الأميركيين في العراق. فماذا لو تدخل الروس في العراق عبر ضربات جويّة، بطلب عراقي رسمي، خاصة أنّ ذلك هو مطلب شعبي لا تستطيع أن تتمادى الحكومة العراقية في رفضه. وإلا، فستكون ساعتئذٍ الأرض لإيران كما هو الحال اليوم، لكنّ السماء ستتقاسمها روسيا مع الأميركيين، وهو الثمن الذي يمكن أن يكسبه أو يخسره الأميركي في العراق.

نجح الحلف الجديد في تنسيق الأدوار، استراتيجياً وتكتيكياً، في جغرافيا المواجهة المفترضة وتوزيعها بين قواه، خاصة روسيا وإيران، عبر ملاحظة تدحرج التدخل الميداني والسياسي. مثلاً، حين لا ترغب روسيا الاتحادية، أو لا تقدر لاعتبارات مختلفة، على التدخل في مكانٍ ما، تحضر إيران. فالروسي لا يتواجه مع إسرائيل فيما لو دخلت بقوة على خط الأزمة، بينما إيران تستطيع وترغب في ذلك. الكلام نفسه يسري على سياسة روسيا مع السعودية، حيث إنّ إيران وحلفاءها في الدول العربية، أكثر تخفّفاً تجاه ذلك إذا ما فرضته مجريات الأحداث.

مخطئ من يظن أنّ التدخل الروسي أحادي المنحى، بمعنى أنّه يرتكز على الحسم العسكري فحسب. هو والإيراني يحملان في جعبتهما أفكاراً ومقترحات جدية لتسوية تُنهي الأزمة وتعيد الحق إلى الشعب في تقرير مصيره كقاعدة القواعد. لكن بطبيعة الحال، يرتبط مسار الأزمة ومدتها بفعل الطرف الآخر، الذي غدا هامش حركته محدوداً ومُربك الخيارات، دون شكّ. هذا الطرف يتجه إلى التصعيد مع ما يعنيه من سعي لإرسال سلاح نوعي وما أمكن من المسلحين. إلا أنّ سقوف ذلك مفهومة ومتبادلة بين أطراف الصراع الإقليميين والدوليين، إذ من المعلوم أنّ أي سلاح يُسقط طائرة روسية هو خط أحمر.

خطٌّ تراه السعودية وتركيا، وأغلب الظنّ أنّهما لن تُقدما على القيام بما يستفز مقدّرات الدّب الروسي العسكرية فيقدما له الذرائع لإطلاق العنان لقوته، لأن ذلك سيكون على حساب ما بقي لهما من معارضة سورية مسلحة. كذلك يمكن من

الأخبار
al-akhbar
■ رئيس التحرير ـ المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مديرا التحرير: إيلي شلهوب، وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: محمد زبيب، حسن عليق، إيلي حنا، أمل الأندري، شربل كريّم
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق السادس
■ تلفاكس: 01759500، 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات: الوكيل الحصري، ads@al-akhbar.com، 01/759500
■ التوزيع: شركة الأوائل، 15ـ666314/ 01 ـ 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني: www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل: /AlakhbarNews، @AlakhbarNews، /alakhbarnews-paper